

اللاممكن⁽³⁾». وفي العهد الإغريقي عَمِمَ أفلاطون مفهوم المقايسة بنقله من المجال الرياضي إلى التأليف بين كل مظاهر الكون الطبيعية والسياسية؛ ففي المجال الطبيعي أسس مفهوم التناغم، وفي ميدان السياسة قد خلق التعبير التالي: نسبة الرأس للإنسان نسبة الحكومة إلى المدينة؛ فالحكومة رأس المدينة والفكر حكومة الإنسان⁽⁴⁾. ولما جاء أرسطو حافظ على عمق النسبة فنقلها إلى وقائع مادية وأدبية مثل العلاقات الاجتماعية الممثلة في الأخلاق وفي التشريع، ومثل العلاقات البلاغية والشعرية؛ وقد اعتمد على الحد الأوسط ليقم الجسور بين الوقائع المادية، وعلى المناسبة بين الوقائع اللغوية. وهذا الدور التجسيري استغل بكيفية فعالة في الميدان التشريعي لدى الرومان؛ وبعد ذلك وظفت المشابهة الأفلاطونية للربط بين الموجودات المترتبة الصادرة من واحد أحد. وهكذا تقل المماثلة تبعاً لدرجات التنازل وتقوى كلما تصاعدت إلى الواحد الأحد.

هذه ثلاث محطات أساسية تعكس توظيف نظرية التناسب: إثبات لتناغم العالم طبيعياً وسياسياً عن طريق إثبات المشابهة بين الأشياء، ولذلك دعي أفلاطون بفيلسوف المشابهة، ومحاولة للبحث عن الحد الأوسط في الأخلاق وفي السياسية وفي التشريع، ولذلك سمي أرسطو بفيلسوف الحد الأوسط، وتأكيد لأحد صدرت عنه جميع المخلوقات تتناسب درجة مماثلتها تبعاً للقرب أو للبعد منه، ولذلك وصف أفلوطين بفيلسوف المماثلة.

نتج عن هذه المحطة الأخيرة البحث في الأسماء الإلهية أو الصفات الإلهية مما أدى إلى مناقشة مسألة الصفات العقلية؛ أي الحياة والعلم والقدرة والإرادة. وغيرها عبر العصور الوسيطة.

لا نقصد من هذا العرض المختصر الذي لا يضيف شيئاً إلى العالم، ولا يعلم الجاهل حول المقايسة وأبعادها في الفكر القديم وتوظيفاتها المختلفة أن تأتي بجديد ولكننا نهدف إلى استخلاص بعض النتائج الصورية التي تفيدنا في ربط الفكر القديم بالفكر الجديد؛ وأهم هذه النتائج مفهوم المشابهة بين عناصر مقولة واحدة، والتراتبية بين عناصرها، والربط بين مقولات مختلفة ذات أجناس متباينة. إن هذه النتائج

(3) هذه المعلومات مقتبسة من هذا الكتاب:

- Philibert Secretan, Op. cit. p. 19.

- Op. cit. p. 22.

(4)